



الدعوة إلى الحامية أصولها وأهدافها

د . عبد الله بوخلخال

أستاذ محاضر بمعهد الآداب و اللغة العربية . جامعة قسنطينة

الدعوة إلى العامية أصولها وأهدافها*

I-تقديم

إن أعظم المؤسسات في أية أمة هي لغتها ، لأنها وسيلة تفكيرها ومستودع تراثها المشترك ، والجزائر تعيش في الوقت الحاضر وضعاً لغوياً شاذاً ، يميزها عن العديد من المجتمعات في عالمنا المعاصر .

فنحن نقرأ ونسمع ونشاهد يوميا خليطا لغويا من العربية ولهجاتها ، و البربرية والفرنسية و بقايا التركية و الإيطالية و الإسبانية .

ونجد من يدعو الى ضرورة إستعمال هذه العاميات ⁽¹⁾ ، أو اللهجات- التي لاضوابط تضبطها - لأنها بالنسبة إليه أفضل وسيلة للفهم و الإقحام و التقدم ، وهو يعلم يقينا أنها لن تقوم مقام العربية الفصحى مهما أرتقى مستواها .

ومن جهة أخرى يدعي هؤلاء بأن اللغة العربية لغة معقدة ومتأخرة لاتستطيع التعبير بكل دقة عن مستلزمات العصر ، ولذا فمن الضروري التمسك باللغة الفرنسية باعتبارها وسيلة للتقدم و الرقي ، بل واعتبارها اللغة الوطنية الثانية ، ومكسبا من مكاسب هذه الأمة ، بالإضافة الى كتابة اللغة العامية بالحرف اللاتيني ، حتى يكون وسيلة لنقل تراثنا الشعبي الى العالم . وهذه الدعوة المفضوحة ، ليست جديدة علينا أو خاصة بالجزائر فقد عرفتها وتعرفها كل الشعوب ، التي تعرضت للإستعمار ، أو التي لها قابلية للإستعمار ، وخاصة المستعمرات الفرنسية منها .

و التاريخ يعيد نفسه في هذا المجال ، فهي دعوة إستعمارية صليبية لغوية تمتد جذورها الى أكثر من قرنين من الزمن ، وقد عرفت في أواخر القرن الماضي وبدايات القرن العشرين أوج صراعها الضاري ، بين دعاة العامية ومن ورائهم الإستعمار الأوروبي وبخاصة الفرنسي والأنجليزي ، وهم في حالة قوة ووضعية هجوم . وبين حماة العربية المتمسكين بها وبتراثها مهما كان الأمر ، وبوسائلهم المحدودة ،

* - محاضرة ألقىت يوم 5 ماي 1990 . بجامعة قسنطينة في ملتقى ابن باديس الرابع (العربية و التعريب)

ففي سنة 1903 م صرخ الشاعر حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية ، وهي تنمي حظها بين أبنائها :

أنا البحر في أحشائه الدرّكا من * فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
فيا ويحكم أبلّى محاسنسي * ومنكم وإن عزّ الدّواء أساتي
فلا تكلّوني للزمان فأنسي * أخاف عليكم أن تحين وفاتي .

وكانت كلمات حافظ إبراهيم - بما فيها من إستنهاض للهمم من أجل الحفاظ على العربية وتراثها ، وتطويرها حتى تستجيب لمتطلبات العصر ، - مشاركة في المعركة الضارية غير المتكافئة ، التي كانت تدور آنذاك في العالم العربي حول اللغة العربية وحروفها ، وهل هي قادرة على الإستجابة لمطالب الحياة الجديدة ، أم أن الشيوخوخة قد أصابتها مثل اليونانية القديمة و اللاتينية و السنسكريتية ، فأصبح من الخير أن يستبدل المتحدثون بها اللهجات العامية المستعملة بين أبناء الأمة العربية من المحيط الى الخليج ، أو يقبلوا على إحدى اللغات الأروبية المتطورة التي كان الإستعمار الأروبي قد فرضها على شعوب العالم العربي ، الإنجليزية في مصر و السودان و شبه الجزيرة العربية و العراق و فلسطين ، و الفرنسية في الشام (سوريا ، لبنان) و شمال إفريقيا (تونس و الجزائر و المغرب و موريتانيا) و الإيطالية في ليبيا و الإسبانية في الصحراء الغربية .

وكانت الشعوب العربية مع بداية هذا القرن تكافح بوسائلها المختلفة في سبيل إسترجاع حريتها وسيادتها من الإستعمار الأروبي الذي جثم عليها مدة طويلة ابتداء بالجزائر سنة 1830 . ولا يكن هذا الاستعمار سيطرة سياسية أو عسكرية أو نهبا للثروات الوطنية مافوق الأرض وما في باطنها ، بل سرعان ما امتدت يده وبكل شراسة الى الثقافة و اللغة و التعليم و الدين الإسلامي ، يحاول أن يطوعها لمآربه ، لأنه كان يعرف حق المعرفة مدى اعتزاز الأمة العربية الإسلامية بتراثها الثقافي ، ومدى تمسكها بدينها ولغتها ، وهذه المقومات هي حجر الأساس في مقاومة الأمة العربية للهجسة الإستعمارية الضارية (2).

II كيف نشأت الدعوة الى العامية ؟

لقد ظهرت منذ بداية القرن التاسع عشر مجموعة من الدعوات المسلطة على الأمة العربية و الإسلامية ، أهمها الدعوة الى العامية والتخلص من العربية ، قام بها بعض العلماء الأوربيين ومن صانعهم من أبناء الأمة العربية ، هدفها نبذ اللغة العربية الفصحى بدعوى عجزها عن مسايرة تطور الحياة الحديثة ، وإتخاذ اللهجات العامية لغة للتعليم و الكتابة و الأدب .

تابع معي هذا الملخص لمحاضرة بعنوان « لِمَ لم توجد قوة الإختراع لدى المصريين الآن » . ألقاها مهندس الري الأنجليزي وليام ولكوكس بنادي الأزيكية بالقاهرة سنة 1893 م ونشرها بلغة ركيكة في مجلة الأزهر بعد أن آل إليه أمرها ^(١٣) .

فقد زعم ولكوكس في هذه المحاضرة أن أهم عائق يمنع العرب من الإختراع والتقدم ، هو أنهم يؤلفون ويتعلمون ويكتبون باللغة العربية الفصحى ، وأنهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية لأعان ذلك علي إيجاد ملكة الإبتكار وتنميتها .

ثم أظهر تفاؤله العظيم بمستقبل المصريين و العرب ، لشقته من قدرتهم على إكتساب قوة الإختراع ، إذا أتبعوا مشورته ، ولبوا دعوته ، وهي الكتابة و التأليف بالعامية ، تلك الدعوة التي يزعم أنه لم يهدف من ورائها إلا إلى خدمة الإنسانية ، ونشر المعارف وفي ذلك يقول حرفيا « وما أوقفني هذا الموقف إلا حبي لخدمة الإنسانية ، ورغبتي في إنتشار المعارف ، وما أجده في نفسي من الميل إليكم الدال علي ميلكم إلى ... ولعلي أجد أذنا صاغية وقلبا واعيا ، وفاضلا يلبي دعوتي ، ويؤمن علي مقالتي حتى لا يذهب تعبي هباءً منثورا » ^(١٤) .

وفعلا إستجاب بعض صنائع الإستعمار وأعوانه لهذه الدعوات وأمنوا عليها ، وجندوا أنفسهم وصحفهم ^(١٥) . وكتاباتهم لخدمة هذه الهجمة على العرب و العربية .

وهكذا أصبحت اللغة العربية الفصيحة في صراع ضار مع لهجاتها تحت غطاء الرغبة في خدمة الشعب العربي و الخروج به من ظلمة التخلف لى نور الحضارة الحديثة ، التي كانت أوربا هي نموذجها الأعلى .

هذا الصراع اللغوي بين الفصحى ولهجاتها العامية ، لم يكن بارزا في العصور

السابقة، بل إن وجود العامية . بجانب الفصحى على مابينهما من اختلاف ، هو ظاهرة طبيعية في كل اللغات ، فليس وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية بالأمر الشاذ ، ونحن لو تتبعنا تاريخ اللغة العربية منذ القدم ، لوجدنا أن هذه الظاهرة تلازمها منذ أقدم عصورها ، ولم تكن خطرا عليها في يوم من الأيام . وعاشت العربية الفصحى بجانب العامية دون أن يحدث بينهما أي تنافس أو مزاحمة .

وكلما طرأ على اللسان العربي الفصيح لحن أو انحرف أو دخيل هبّ علماء مجموعة من علماء العربية الي كلام العامة، محاولين إصلاحه وتدوين ما هو عامي وما هو فصيح ، وألفوا في ذلك عشرات الكتب منبهين الي لحن العوام أو الخواص الذين تطرق الفساد اللغوي إلى ألسنتهم حتى لا يصبح من الفصحى (6) .

ولم تكون هذه المؤلفات تهدف الي دراسة العامية لذاتها كما فعل المستشرقون ومن حذا حذوهم من أبناء الأمة العربية ، بل كانت تهدف الي خدمة الفصحى عن طريق تقويم ألسنة العامة و الخاصة وتصحيح أخطائهم ، لأن علماء العربية كانوا يعتبرون العامية تحريفا للفصحى لالغة جديدة مزاحمة لها خلافا للمستشرقين ، بل كانت مؤلفات علماء العربية في هذا المجال فرعا من دراستهم للفصحى ومحافظتهم عليها سالمة من التحريف واللحن والدخيل ، وهذا ما حدث ويحدث في جميع اللغات قديما وحديثا ،

وعاشت العربية بجانب العامية طيلة هذه القرون دون أي مشكل إذ إختصت كل منهما بميدان ، فقد اختلفت العامية بميدان التعامل في الحياة اليومية ، ولم تكن تطمح قط في أن تصبح لغة الإدارة و التعليم والأدب الرفيع ، واحتلت الفصحى ميدان التعليم و البحث العلمي والتأليف و الأدب و الإدارة وغيرها ، لايزاحمها في هذا الميدان أي مزاحم محلي أو أجنبي ،

ولكن لما ظهرت ملامح أطماع الأروبيين في إستعمار العالم العربي، والبحث عن كل الوسائل والأساليب التي تسهل لهم التسلل بين الجماهير العربية ، تبينت لهم ضرورة الإهتمام باللهجات العربية العامية وتعليمها ، فدخلوا تدريس اللهجات العامية العربية في مدارسهم وجامعاتهم مستعينين في ذلك ببعض العرب الذين كانوا يعملون

في بلادهم أو أو يزورونها من حين إلى آخر ، و المستشرقين الذين كانت لهم معرفة دقيقة باللهجات العربية ، وكان هدفهم تعليم القناصل والمبشرين و الجواسيس الأوروبيين المرسلين الى البلاد العربية ،

III - المدارس و الجامعات الأوروبية التي اهتمت بتدريس العامية العربية .

لقد بدأ تدريس العامية العربية في المدارس و الجامعات الأوروبية منذ القرن الثامن عشر ، وكثفت نشاطها في القرن التاسع عشر ، منها .

1 - مدرسة نابولي للدروس الشرقية بإيطاليا ، أنشئت سنة 1727 ثم جددت سنة 1888 م وكثفت اهتمامها بتدريس العربية العامية

2 - مدرسة القناصل ، بفيينا ، أنشئت سنة 1754م وكان من أهدافها تعليم القناصل و الدبلوماسيين الأوروبيين لغات الشرق ومنها العربية ولهجاتها العامية ، وكان من مدرسيها في القرن الماضي (19) أحد الأساتذة العرب يدعى حسن المصري الذي ألف كتابا في العامية المصرية سنة 1869 م بعنوان « أحسن النخب في معرفة لسان العرب » (7).

ثم تأسست بفيينا مدرسة أخرى سنة 1851 خاصة باللهجات الشرقية

3 - مدرسة باريس للغات الشرقية الحية . أنشئت سنة 1759 م وكانت تدرس اللهجات العربية العامية ، وكان أهم من قام بالتدريس بها المستشرق الفرنسي دي ساسي مستعينا بأستاذ عربي يدعى مخائيل الصباغ الشامي ، الذي كان يدرس العربية ولهجاتها المحكية ، و الذي ألف كتابا في العامية العربية بعنوان « الرسالة التامة في كلام العامة و المناهج في أحوال الكلام الدارج » سنة 1886 م.

4 - مدرسة لازاريف Lazarev الإكليريكية للغات الشرقية في مدينة موسكو الروسية سنة 1814 م ، وهذه المدرسة كانت فرعاً لجامعة بطرس بوج (لينينغراد) وكان من أبرز مدرسيها أستاذ عربي يدعى محمد عباد الطنطاوي ، الذي كان يدرس اللغة العربية ولهجاتها مع العناية الخاصة بالعربية العامية ، وألف كتابا في ذلك بعنوان « أحسن النخب في معرفة لسان العرب » سنة 1848 م . والذي يشبه كتاب

حسن المصري المدرس بمدرسة القناصل بفيينا ،

وفي سنة 1909 م خصصت جامعة بطرس بوج فرعا بها خاصا بتدريس العربية ولهجاتها العامية ،

5 - مدرسة برلين لتدريس اللغات الشرقية ولهجاتها ، بألمانيا ، وكان يدرس بهذه المدرسة مجموعة من الأساتذة العرب منهم (أحمد والي) لتدريس العامية المصرية و (أمين معريس) لتدريس العامية الشامية ، بإشراف الدكتور (ماهر هيرقن) الألماني الذي كان يعمل قنصلا لبلاده في بيروت .

6 - الكلية الملكية لعلوم الإقتصاد الشرقية بالمجر إنشئت سنة 1891م وكان من إهتمامها تدريس اللهجات العربية والعامية .

7 - فرع اللغة العربية ولهجاتها بجامعة لندن « انجلترا » فتح في أوائل القرن التاسع عشر ، وكان من مدرسي هذا الفرع أستاذ يدعى حبيب أنطوان السلموني اللبناني ، كما درس بهذا القسم الأستاذ أحمد فارس الشدياق - زائرا - اللغة العربية ولهجاتها ، وطلب منه المشرفون على هذا القسم تأليف كتاب في العربية المحكية (العامية) فاستجاب لذلك وألفه باللغة الإنجليزية بعنوان « أصول اللغة العربية المحكية » سنة 1856 م .

وقد يكون عمل هؤلاء الأساتذة العرب بريئا ، ليس القصد منه الإساءة إلى اللغة العربية الفصحى ، ولكنه لا يخفى على أحد الهدف الإستعماري من وراء تدريس العربية العامية ، و الدعوة إليها ، في هذه المدارس و الجامعات الأوروبية ، والهدف واضح بحيث تستعمل هذه العاميات في التفاهم مع الجماهير الشعبية ، و التسلل في أوساطها واستغلالها في التجسس و التبشير ومحاربة العربية الفصحى لغة القرآن والإسلام ، ودعوة الشعوب العربية إلى ضرورة استعمال عامياتها في جميع مجالات الحياة الشعبية و الرسمية و العلمية ، وبذلك يصلون إلى تشتيت الأمة العربية إلى شعوب وقبائل يسهل التغلب عليها وضرب الإسلام و العربية ضربة قاضية لن تقوم لها قيامة بعدها .

فالخيال بحسب هذا المفهوم وسيلة للمعرفة لأنه (وسيط بين معطيات الحس وبين صور الفهم المجرد ، فهو يعرض الجزئيات الحسية في صورة أو في شكل يمكن الفهم المجرد من وضعها تحت مقولات المعرفة ⁽⁴⁾ ؛ وهذا يعني أن الخيال هو القوة التي تجعلنا قادرين على أن نقيم جسور التواصل بين عالم العقل أو العالم المجرد ، وعالم الطبيعة ، أي العام المادي ⁽⁵⁾ .

وعندما يتحدث الفلاسفة عن الخيال بمعنى (Imagination) فانهم ما ينفكون يفرقون بينه وبين ما يسمى الوهم (Ellusion) ، وهذه القدرة الأخيرة من قدرات النفس لا ترقى الى مستوى الخيال بأية حال ، لأنها قدرة غير مبدعة ، فهي تغتر بمظاهر الصورة وسطحية الأشياء ، وتخضع في الغالب للمشاعر العريضة التي لا عمق فيها ، وهذا يعني أن الوهم لا يرى الأشياء كما يراها الخيال الشعري أصلية في لونها وشكلها ⁽⁶⁾ . فالخيال الشعري يظهر دائما كقوة موحدة ومركبة ⁽⁷⁾ ، يلاشي ويحطم لكي يخلق من جديد ⁽⁸⁾ .

وأما الوهم فيبدو عبارة عن سلسلة من الصور التي لا تربط بين أجزائها فكرة واحدة أو تخضع لقانون عام أو تجربة مشتركة ⁽⁹⁾ . ويمكن أن نقول باختصار : (أن الخيال هو الملكة التي توصلنا الى الحقيقة بينما يكتفي التوهم بالصور و الإحساسات المفككة ⁽¹⁰⁾ .

قلت - إذن - ليس مهما كثيرا ما قاله الفلاسفة حول هذه الملكة ، وكيف نظروا إليها نظرة أجلال وتقدير ، وخاصة الفلاسفة المحدثون ، أما الفلاسفة العرب المسلمون القدامى فهم على الرغم من عدم معرفتهم بهذه القوة الإنسانية الخلاقة - باستثناء ابن عربي - لم تكن نظرتهم لها أقل إجلالا وتقديسا . ولعلمهم ربطوها بالسحر لأنهم لم يكونوا يعرفونها ، وإنما كانوا يعرفون أثرها النفسي الذي هو شبيه بأثر المحاكاة بالفعل التمثيلي المأساوي عند أرسطو ، أي بالفعل الذي يشير الرحمة والخوف ، ويؤدي الى التطهير من الإنفعالات ⁽¹¹⁾ .

ومن ثم فإن هؤلاء الفلاسفة لم يوجهوا اهتمامهم الى البحث عن الخيال باعتباره قوة إبداعية تميز الشعر عن غيره من بني جنسه ، ولم يدرسوا وظيفة هذه الملكة المتمثلة

الأمة العربية باعتبارها لغة العدو المحتل ، لجأ الى إتخاذ العامية في التدريس والإستعمال الرسمي و الإبداع الأدبي ، والتخلص من العربية الفصحى لصعوبتها وغرابتها وصعوبة طريقة كتابتها كما يدعي ، ومن ذلك ما جاء في كتاب سبيتا : اقتراح إتخاذ الحروف اللاتينية في كتابة العامية .

تقول الدكتورة نفوسة زكريا سعيد في كتابها « تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر » عن كتاب سبيتا (spitta) « فهذا الكتاب الذي يعتبره الباحثون أول محاولة جدية لدراسة لهجة من اللهجات العربية المحلية هو الذي خلق في الحقيقة معظم مشاكلنا الأدبية واللغوية التي استنفذت جهدنا ووقتنا في هذا العصر » (8).

وقدم المؤلف لكتابه بمقدمة أشار فيها الى أسفه عن عدم وجود أدب مطبوع لهذه اللغة العامية الحية ، ثم تكلم عن منهجه في البحث وإستنباط القواعد لهذه اللغة ، وختم المقدمة بالفكرة التي راودته طويلا و التي أُلِف من أجلها الكتاب ، وهي الدعوة الى إتخاذ العامية لغة أدبية ، تلك الفكرة التي ذهب في تأييدها كل مذهب ، تارة بالنيل من العربية الفصحى و تارة أخرى بالإشادة بالعامية ، التي بذل كل هذا الجهد في إستنباط قواعدها لتنظيمها حتى يثبت لأبنائها صلاحها للإستعمال الكتابي والرسمي ، يقول : « وأخيرا سأجازف بالتصريح عن الأمل الذي راودني على الدوام طوال مدة جمع هذا الكتاب ، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها ويمس أمرا هو بالنسبة إليها والى شعبها يكاد أن يكون مسألة حياة أو موت .

فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف الى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الإختلاف الواسع بين لغة الحديث و لغة الكتابة ، ففي مثل تلك الظروف (أي وجود الإختلاف الواسع بين لغة الحديث ولغة الكتابة) ، لا يمكن مطلقا التفكير في ثقافة شعبية إذ كيف يمكن في فترة التعليم الإبتدائي القصير أن يحصل المرء حتي علي نصف معرفة بلغة صعبة جدا كاللغة العربية الفصحى ، بينما يعاني الشباب في المدارس الثانوية عذاب دراستها خلال سنوات عدة دون أن يصلوا الى شيء اللهم إلا نتائج لاترضي بتاتا .

وطريقة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط

من اللوم في كل هذا » (9).

ثم يقول : « إن غربة اللغة العربية الكلاسيكية القديمة بالنسبة الى الجيل الحالي » مثل غربة اللغة اللاتينية بالنسبة الى الإيطاليين ، أو مثل غربة اللغة اليونانية القديمة بالنسبة الى اليونانيين » (10).

ثم يقول : (فلماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة الى ما هو أحسن، ببساطة لأن هناك خوفا من تهمة التعدي على حرمة الدين إذا تركنا كلية لغة القرآن ، ولكن لغة القرآن ، لا يكتب بها الآن في أي قطر، فأينما وجدت لغة عربية مكتوبة فهي اللغة العربية الوسطى أي لغة الدواوين ، وحتى من يدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية لا يمكن أن يقلقها تبني لغة الحديث العامية ، إذ أن لغة الصلاة و الطقوس الدينية الأخرى ستظل كما هي في كل مكان » (11).

ثم يقول : « أو ليس من السهل أن تقوم هيئة من كبار العلماء في مصر بذلك العمل » أي وضع قواعد للعامية وترتيبها « لتؤديه علي نحو أحسن مما أفعله - أنل الاحني - الذي لم يبد لي الامر من الصعوبة، بحيث لا يمكن تناوله » (12).

والملاحظ على ادعاءات الدكتور سبيتا أن العامة من الناس لا يفهمون العربية الفصحى لصعوبتها وطريقة كتابتها المعقدة العقيمة، وهذا غير صحيح بل يعود العجز في فهم الفصحى الى لتخلف الفكري والامية المتفشية بين أبناء الامة العربية، والا كيف نفسر السهولة التي وجدها هو نفسه في تعلمها مع لهجاتها ببساطة، وهو الرجل الاجنبي عنها ! كما انه لايجوز بحال من الاحوال قياس اللغة العربية الفصحى باليونانية القديمة او اللاتينية لان الظروف التي مرت بها كل من اليونانية القديمة واللاتينية غير تلك التي مرت بها العربية، فهما لم يحظيا بالقداسة والاستمرارية مثل العربية، بصفتها لغة القرآن الكريم والدين الاسلامي الاول، والتراث العلمي والادبي .

ثم ان هذا التخلف الاجتماعي هو نتيجة انتشار الجهل والامية والاوزاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وليس ناتجا عن صعوبة الفصحى كما يدعى دعاة العامية، ثم أنه لو أخذ الناس العامية لغة للتعليم والإدارة والابداع ستصبح بدون شك لغة الطقوس الدينية والدليل على ذلك ترجمتهم الانجيل الى العامية ومحاولة

ترجمتهم القرآن إليها ، وفي النهاية سينصرف الناس عن اللغة العربية الفصحى وعن القرآن والتراث العربي الاسلامي في جميع مجالات العلم والمعرفة لانه كتب بلغة عربية فصيحة وبخط عربي أزيد من ثلاثة عشر قرنا .

وجند كثير من المستشرقين والعرب انفسهم لتعميم هذه الدعوة بين أبناء الامة العربية من امثال : كارك فولرس ووليام ولكوكس وسلدان ولون من المستشرقين ، ويعقوب صنوع صاحب مجلة «ابو نظارة» باللغة العامية، وجورج زنايري صاحب مجلة الغزالة بالعامية، ومحمد التجار صاحب مجلة «الارغول» بالعامية والفصحى، وغيرهم من امثال عبد العزيز فهمي وسلامة موسى، ولوس عوض، ولم يتوقف الامر عند دعاة العامية من العرب الى اتخاذ العامية فقط بل تعدى ذلك الى الدعوة الى اتخاذ الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية فهذا عبد العزيز فهمي احد شيوخ مجمع اللغة العربية بالقاهرة يلح على ضرورة استعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية في الاقتراح الذي قدمه الى المجمع في جلسته بتاريخ 3 ماي 1943 م بشأن تيسير الكتابة العربية.

فقد قدم لاقتراحه هذا بمقدمة انطوت على رغبته في اقضاء اللغة العربية الفصحى، وأسفه الشديد لعدم تمكن اللهجات المحلية من احتلالها مكانها في الاستعمال :

يقول : « كلنا أصبح يعلم علما ضروريا أن اللغة كائن كالكائنات الحية ينمو وبهرم ويموت، مخلقا من بعده ذرية لغوية متشعبة الافراد هي أيضا في تطور مستمر، ولم يستطع قوم للآن أن يغالبوا هذه الظاهرة الطبيعية، فان التطور يكبح شراسة من غالبه ...

لكن حال اللغة العربية، حال عربية بل أغرب من الغربية، لأنها مع سريان كالتطور في مفاصلها وتحتيتها في عدة بلاد من اسيا وافريقيا الى لهجات لايعلم عددها إلا الله .

لم يدر بخلد أية سلطة في أي بلد من تلك البلاد المنفصلة سياسيا، أن يجعل من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها ، لها نحوها وصرفها ، وتكون هي المستعملة في الكلام

الملفوظ وفي الكتابة معا تيسرا على الناس كما فعل الفرنسيون و الإيطاليون و الإسبان
أو كما فعل اليونان ...

لم يعالج أي بلد هذا التيسير وبقي أهل اللغة العربية من أتبع خلق الله في
الحياة .

إن أهل اللغة العربية مستكبرون علي أن تكون العربية الفصحى هي لغة الكتابة
عند الجميع وأن يجعلوا على قلوبهم أكنة وفي أذانهم وقرا ، وأن يردعوا عقولهم من
التأثر بقانون التطور الحتمي الأخذ مجراه بالضرورة - رغم أنوفهم - في لهجات
الجماهير ، تلك اللهجات التي تتفرع فروعاً لاحداً لها ولا حصر ، و التي تتسع كل يوم
مسافة الخلق بينهما وبين الفصيحة جدة جداتها إتساعاً بعيداً . هذا الاستكراه الذي
يوجب على الناس تعلم العربية الفصحى كيما تصح قراءتهم وكتابتهم ، هو في ذاته
محنة حائقة بأهل العربية ، إنه طغيان وبغي لأنه تكليف للناس بما فوق طاقتهم ، ولقد
كنا نصبر على هذه المحنة لو أنّ تلك العربية الفصحى كانت سهلة المنال ، ك بعض اللغات
الأجنبية الحية ، لكن تناولها من أشق ما يكون ، وكلنا مؤمن بهذا ولكن الذكرى تنفع
المؤمنين ، فلنذكر بعض هذه المشقة (13) .

لم يكن متوقعا من أحد شيوخ مجمع اللغة العربية أن يصدر منه مثل هذا الكلام،
ولكنها البلية التي أوقعها خبراء الإستعمار في النفوس بعض أبناء الأمة العربية ،
المبهورين بالحضارة الغربية .

وانظر معي إلى عبارات اللغة اليونانية و اللاتينية و الإستكراه والطغيان والبغي
والمحنة واللغات الأجنبية الحية وغيرها فهي كلها عبارات وطعنات أساتذته من أمثال
سبيتا وولكوكس وغيرهما .

ولم تلق دعوة عبد العزيز فهي قبولا من السواد الأعظم من أبناء الأمة العربية
في بيئاتها المختلفة ولم يناصره إلا أقلية قليلة ممن عرفوا بعدائهم للعربية الفصحى ، من
أمثال سلامة موسى الذي أثني علي عبد العزيز فهمي ووصفه بالرجل الجريئ النابه الذي
لا يبالي الجهلة و الحمقى ، وخاصة حين يدعو الى الخط اللاتيني ، وفي ذلك يقول :
«والواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة الى المستقبل، لو أننا عملنا به لأستطعنا أن

ننقل مصر الى مقام تركيا التي أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها ، وفتح لها أبواب مستقبلها .

واقترح عبد العزيز فهمي يحتاج أولا الى العمل بالغاء الإعراب الذي تعلمناه ولكن لم نعمل به قط ، وإلغاؤه يجعل الهجاء العربي في الخط اللاتيني سهلا ، ثم هو يغنينا عن وضع الحركات في أعلى وأسفل الكلام ، لأن الحركات في الخط اللاتيني حروف تدخل في صلب الكلمة ،

وللنظر في بعض الميزات التي للخط اللاتيني .

1 - فأول ذلك أننا تقترب نحو التوحيد البشري ، فان هذا الخط هو وسيلة القراءة و الكتابة عند المتمدنين الذين يملكون الصناعة أي العلم و القوة و المستقبل . وهذا الخط تأخذ به الأمم التي ترغب في التجدد كما فعلت تركيا . ومن المرجح أن يعم هذا الخط العالم كله قريبا .

2 - حين نصطنع الخط اللاتيني يزول هذا الانفصال النفسي الذي أحدثته هاتان الكلمتان المشثومتان « شرق وغرب » فلا نتعير من أن نعيش المعيشة العصرية ، ولا بد أن يجر هذا الخط في أثره كثيرامن ضروب الإصلاح الأخرى . مثل المساواة الإقتصادية بين الجنسين ، ومثل التفكير العلمي ، ومثل العقلية بل النفسية العلمية ، ... إلخ .

3 - يمتاز الأوروبيون بقدرتهم على إيجاد المعاني الجديدة بالصاق مقاطع مشتقة من اللغتين الإغريقية و اللاتينية فيخلقون المعني الجديد من الكلمة القديمة ، ونحن نتفع بهذه المقاطع إذا أخذنا بهذا الخط ولا يمكن أن نستعمل هذه المقاطع مادام الخط بالحرف العربي .

4 - والكلمات العلمية التي تقف عقبة شاقة في لغتنا تغدو سهلة الاستعمال بالخط اللاتيني .

5 - ثم يجب ألا ننسي أن الخط اللاتيني ، لا يكلفنا في تعلمه عشر الوقت الذي نقضيه في تعلم الخط العربي بل ربما أقل .

6 - وعندما نكتب لغتنا بالخط اللاتيني نجد أن تعلم اللغات الأوربية قد سهل أيضا فتفتح لنا آفاق هي الآن مغلقة .

وبالجملـة نستطيع أن نقول أن اتخاذه الحظ اللاتيني هو وثبة في النور نحو المستقبل ... ولكن هل العناصر التي تنتفع ببقاء الخط العربي والتقاليد ترضي بهذه الوثبة ؟» (13)

VI- وضع اللغة العربية في الجزائر في أثناء الإحتلال الفرنسي 1830 - 1962م

عمل الإستعمار الفرنسي مباشرة بعد إحتلال الجزائر سنة 1830 م علي « جعل الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي أرضا ولغة وثقافة ودينا ، وقد انتهج لذلك سياسة الفرنسة ، وهي إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية ، في جميع مجالات الحياة الإجتماعية ، حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللسان و الثقافة ، وينقطع بذلك عن تاريخه ، ويفقد مقومات شخصيته القومية تدريجيا ، ويذوب في بوتقة الأمة الفرنسية (14) ».

فقد جاء في إحدى التعليمات الصادرة الى حاكم الجزائر غداة الإحتلال « إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة (مملكة فرنسية) إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية ، والعمل الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي الى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة حتى الآن » (15).

وهكذا شرعت الإدارة الإستعمارية في تطبيق سياسة الفرنسة في مختلف مجالات الحياة الإجتماعية مبتدئة بمجال التعليم ، فقد كان التعليم أساسا باللغة الفرنسية ، وجعل اللغة العربية ولهجاتها لغات أجنبية ، بقصد تنشئة المجتمع الجزائري على اللغة الفرنسية وحدها ، بل كانت تطلب من بعض العائلات الجزائرية أن ترسل بأبنائهم الى فرنسا ليتعلموا اللغة الفرنسية ، وتكوين نخبة من الجزائريين ، حسب خطط مرسومة حتى يكونوا بعيدين عن بيئتهم اللغوية والثقافية ، وعن كل مامن شأنه أن يبعث في نفوسهم الروح الوطنية و القومية ضد فرنسا ، ويعد كل من يرفض إرسال ابنه الى فرنسا خارجا عن طاعة الفرنسيين ، ويتعرض لإجراءات عقابية و الخروج من مدينة الجزائر .

وواصلت الإدارة الإستعمارية محاربتها للغة العربية وفرض اللغة الفرنسية في الإدارة و المحيط الإجتماعي وأجهزة الإعلام وكل المرافق العامة .

وقد ورد في قرار صادر سنة 1849 م مايلي : « إن لغتنا هي اللغة الحاكمة ... فان قضاءنا المدني والعقابي يصدر أحكامه علي العرب الذين يقفون في مساحته بهذه اللغة ، وبهذه اللغة يجب أن تكتب جميع العقود وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا ، فان أهم الأمور التي ينبغي أن يعتني بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين قد عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين (16).

وقد وضعت كذلك السلطات الإستعمارية خطة محكمة لمحاربة اللغة العربية ، باعتبارها المنافس الخطير للغة الفرنسية ، حتى تضع الجزائريين الراضين للغة الفرنسية في موقف صعب بين الفرنسية و الجهل و الأمية .

فانتقمت من الجزائريين الراضين للغة الفرنسية باعتبارها لغة العدو ، المحتل بالقضاء علي مراكز الثقافة العربية الإسلامية ، ومدارس اللغة العربية (17) وحولتها الى معاهد للثقافة الفرنسية ومراكز للتبشير وثكنات للجيش وسكنات للمستوطنين ، والباقي هدمته بدعوى إعادة تخطيط المدن للجزائرية ، وإعادة بنائها بطرق عمرانية عصرية » وعلى سبيل المثال كان في مدينة قسنطينة قبيل دخول الإحتلال سنة 1937 م ثمانون مدرسة وستة معاهد ، وثلاثمائة زاوية (18) ولم يبق منها بعد الإحتلال الا القليل ، وإذا كان هذا بالنسبة لقسنطينة فهو عام على جميع المدن الجزائرية الأخرى ، فقد إعترف «الدوق دومال » الوالي العام على الجزائر في تقرير له الى حكومته بقوله « قد تركزنا في الجزائر واستولينا على المعاهد العلمية وحولناها الى دكاكين وثكنات .

والى جانب هذا فقد استعملت الإدارة الإستعمارية في الجزائر كل الأساليب في محاربة اللغة العربية ، قد يختلف بعضها عن الأساليب المستعملة في المشرق العربي في محاربة العربية و الدعوة الى العامية أو اللغة الإنجليزية ، من هذه الأساليب المستعملة في الجزائر .

1 - حظر استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي حظرا مطلقا ونقذ ذلك بدقة، ونتج عنه أن أصبح المتعلم باللغة العربية و الأمي في درجة واحدة أمام الإدارة الفرنسية، و الهدف من هذا الإجراء دفع الجزائريين الى تعلم اللغة الفرنسية لقضاء حاجاتهم .

2 - عدم السماح للجزائريين - الذين أصبحوا أهالي - بتأسيس مدارس ومعاهد تعليم اللغة العربية وثقافتها ، وأكتفت ببعض الكتابيب لتحفيظ القرآن الكريم فقط دون تفسيره أو تدريس المواد الإجتماعية ، وكل من يخرج عن هذا الشرط يغلق كتابه ويغرم ويزج به في السجون .

3 - القيام بوضع الكتب المدرسية باللهجة العامية إرضاء لبعض الجزائريين ، هذه العامية التي هي في الحقيقة خليط من العربية ولهجاتها و البربرية و التركية و الفرنسية و الإيطالية و الإسبانية ، واعتبرت هي اللغة الجزائرية الحية بعد اللغة الفرنسية لإنتشارها بين الناس أكثر من غيرها .

4 - فرض حصار محكم على تسلل الثقافة العربية الإسلامية من المشرق حتى لا يخلق لهم مشاكل في فصل الشعب الجزائري عن أمته العربية .

5 - ثم صدور قرار 1938 م المشؤوم ، الذي دعم خطة محاربة اللغة العربية التي بدأت تستعيد مكانتها مع تطور الحركة الوطنية ومطالبها .

هذا القرار الذي ينص ويؤكد إعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ولايجوز تعليمها في مدارس التعليم سواء كانت حكومية أو شعبية (19).

وعلى الرغم من كل هذه المحاولات التي قام بها الإستعمار الفرنسي لفرض اللغة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية فانها لم تكن متناسبة في ذلك الوقت مع الجهود التي بذلت من أجلها ، وهذا راجع الى نفور الشعب الجزائري آنذاك من كل ما هو فرنسي لغة وثقافة وفكرا وإدارة، فقد استطاع الشعب الجزائري الوفي للغة العربية ودينه الإسلامي ووطنه الجزائر وإنتمائه الحضاري إبان الإحتلال أن يقف في وجه كل هذه الحملات المغرضة واستطاع أن ينشئ بمجهوده الخاص كتابيب وزوايا في الأرياف و الجبال لمواصلة تعلم اللغة العربية و الإسلام إلى أن قامت ثورة نوفمبر 1954 المباركة .

* بعض مطالب الجزائريين التي توضع مدى تمسكهم باللغة العربية :

1 - تقدم الجزائريون سنة 1886 إلى فرنسا بعدة مطالب من بينها : « تنظيم المدارس العربية ونشر تعليم العربية بين الجزائريين » << (20).

2 - تقدم نجم شمال إفريقيا في مؤتمره المنعقد ببروكسل بين 10-15 فيفري 1927 ببرنامج يحتوي على 15 نقطة منها « حق الجزائريين في التمتع بجميع مستويات التعليم وخلق المدارس العربية » (21).

3 - كما أكد النجم ذلك المطلب يوم 28 ماي 1933 بباريس في برنامجهِ السياسي بمايلي : « التعليم الإجباري للغة العربية ، وحق كل الجزائريين في التعليم على جميع المستويات ، وخلق مدارس عربية جديدة » (22).

4 - أما دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى تعلم اللغة العربية والتمسك بها فهي من أهدافها الأساسية ، وقد تمثل هذا في شعارها : « الجزائر وطننا ، والعربية لغتنا و الإسلام ديننا » .

5 - وكانت مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان 1936 تدعو ، الى إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل إستثنائية والغاء إعتبارها لغة أجنبية» . الحرية التامة في تعلم اللغة العربية وحرية القول للصحافة العربية (23).

6 - وجاء في البيان المقدم الى الحلفاء بما فيهم السلطات الفرنسية يوم 10 فبراير 1943 مايلي « الإعراف باللغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية » (24) . وذيل البيان بالعبارة التالية : « إن الشعب الجزائري يقبل بكل التضحيات إذا قبلت السلطات المسؤولة بحريته » (25).

7 - وجاء في وثيقة إجتماع الصومام في 20 أوت 1956 مايلي « إن الجزائريين لم يقبلوا في وقت من الأوقات « فرنسة الجزائر » ... وقد خنق الإستعمار أنفاس اللغة العربية التي هي اللغة القومية لغة الأغلبية الساحقة من السكان ، ومحتاعليهما العالي محوا كلياً منذ بدء الإحتلال ، بتشتيت شمل الأساتذة والطلاب واغتصاب الأوقاف... » (26).

8 - وجاء في وثيقة طرابلس في جوان 1962 المنبثقة عن إجتماع المجلس الوطني

للشعور الجزائرية والمعروفة ببرنامج طرابلس مايلي : ضرورة « إعطاء اللغة العربية المعبرة الحقيقية عن القيم الثقافية لبلادنا كرامتها ونجاحاتها كلفة حضارة ، لذلك فانها سوف تعيد بناء التراث الوطني وتقويمه و التعريف بانسانيته المزدوجة القديمة و الحديثة لادخالها في الحياة الفكرية ، وتربية الشعور الوطني ، فهي ستحارب هكذا الهيمنة الثقافية و التأثير الغربي اللذين ساهما في تلقين الكثير من الجزائريين إحتقارهم للغتهم وقيمهم الوطنية >> (27) .

وأنتوقف هنا عند 1962 وأترك مرحلة ما بعد الإستقلال واسترجاع السيادة الوطنية الى بحث آخر يتعرض الى الوضعية المزرية التي آلت إليها اللغة العربية في عز سيادة أهلها وامتلاكهم لقرارهم السياسي والثقافي والإقتصادي .

VII عينة من الكتب المؤلفة خصيصا لتعليم العامية الجزائرية ،

قام الإستعمار الفرنسي وأعوانه بوضع سلسلة من الكتب المدرسية لجميع مراحل التعليم باللهجة الجزائرية العامية كلفة أجنبية إختيارية بعد اللغة الفرنسية الإجبارية طبعا ، مزودة بنصوص القراءة المسيرة وضعت وفق لهجات كل منطقة ، منها .

1 - كتاب الطريق المستقيمة لتعليم لغة العامة *Arabe Dialectal d'après la methode directe* تأليف السيد سبارمي المدرس « J ' Desparmet » طبع بمطبعة السيد جوردان بالجزائر سنة 1907 الطبعة الثانية . يشتمل هذا الكتاب على مجموعة من المدروس بالعامية المكتوبة بالحرف اللاتيني أولا ثم الحرف العربي ، في جميع الدروس الأدبية و الدينية و العلمية المشفوعة بنصوص للمطالعة حول ذلك الدرس .
الباب الأول : في السيد و الحساب .

الدرس الأول : بيت القرابة (الإطلاع على مكونات القسم الدراسي »
باللهجة العامية و بالحرفين اللاتيني أولا ثم العربي) وبطريقة حوارية بين المعلم و التلميذ في شكل أسئلة وأجوبة وتكون إجابة التلميذ ب : نعم سيدي لا لا سيدي :
ومن أجل معرفة « قش بيت القرابة » يدور هذا الحوار « سؤال : واش هذا ؟ ،

جواب هذه الرشاقة ، هذه الخزانة ، هذا البنك ، هذه الطابطة هذه اللوحة ، هذا الدكان
شير ... هذا صندوق الدباشير » وكهذا .

ثم يدور الحوار حول : « الطابطة متاع الشيخ » وحول ، « دوزان التلميذ »
و« الحوايج كيفاش راهم » إلخ .

وهكذا تتسلسل دروس الباب الأول حول المدرسة ودورها وموظفيها وسلوكات
التلاميذ بها مع المدير والمعلمين و الخدم .

ويتناول الباب الثاني : تقسيم الأزمنة : الساعة ، اليوم ، الليلة و الشهور
والفصول و الأعوام ، وماذا يفعل الإنسان في هذه الأزمنة ، وشهور المسلمين وشهور
النصارى وغيرها .

الباب الثالث : جسم بني آدم . تعريف بأعضاء جسم الإنسان
الباب الرابع : المأكولات الفطور الغذاء العشاء و أنواع اللحوم
والخضر والفواكه .

الباب الخامس : أنواع الألبسة الحضرية و البدوية .
الباب السادس : السكن (السكان) الريفي الخيمة و القروي ثم سكن
الحضر وأقسامه

الباب السابع : الأسرة (أهل الدار) و الخدم ووظائفهم إلخ .
وهذا نص للقراءة بعنوان : « واش نعملوا في المدرسة » .

« في المدرسة نتعلموا نقرأوا ونكتبوا ونحسبوا ونصوروا ونغنيوا الشيخ يدبر
علينا وأحنا نُصَنّتوا له ، الشيخ يسقضي فينا وأحنا نواجبوا ، الشيخ يعطي لنا خدمه
وأحنا نخدموا ، الشيخ إذا يعلي صوته واش نعملوا : نسكتوا ، وإذا الشيخ يعايركم
تستحيوا ، وإذا الشيخ يعاقبكم تبكيوا وإذا الشيخ يشكركم تفرحوا ، الشيخ يوري
الحاجات و التصاور ، و التلاميذ يشوفوا ، الشيخ يفسر لهم الكلمات والتلاميذ
يفهموا ، الشيخ يحكي لهم الحكايات والتلاميذ يضحكوا » (28) .

2- وهذا كتاب ثان في القراءة المسيرة Lectures courantes وهو بعنوان
« التدريس المتوسط للوارد المتوسط في استعمال العربية الجارية عند مسلمين الجزائر »

تأليف : الشيخ صوالح محمد بن معمر، مدرس بالمدرسة العليا للتجارة بالجزائر ، طبع
بمطبعة كاربونال في الجزائر سنة 1923 م .

وهو يجمع بين دفتية 177 نصا موجها لطلبة شهادة الدروس الابتدائية العليا،
Certificat d'etudes primaires superieures .

وطلبة الشهادة العليا Brevet superieur .

وذيل هذا الكتاب بقائمة من الاسئلة التي كانت توجه لهؤلاء التلاميذ منذ
1905 حتى 1922 م .

وإليك أول نص للقراءة ابتدأ به الكتاب

«المسافرة في الماشينة»

بوزيان بغى يروح للمدينة، خرج حويجه، الجدد نقاهم من الوسخ والغبار، بدل
وهود للقنّاق، كرى بلاصة في الدرجة الثالثة، تقبوا له كاغطه ورشقه في خيطه، ركب
في الكروسة، ستف قشه على المرفع، صفرت كروسة النار وقلعت، جرت الكراريس
الاخرين ، وهما كروسة الفحم، وكروسة القش وكروسة البوشطة، وكراريس المسافرين
على ثلث درجات.

مرة فانت الماشينة على قنطرة، مرة في غار، مرة في حفرة حفروها في الكاف،
من ساعة لساعة تحبس والغاشي يركب وينزل، حتى وصل بوزيان للمدينة « اهـ .

ثم يشرح المؤلف بعض الألفاظ الغريب بعد كل نص :

هود : نزل، القنّاق : المحط ، المضرب اللي توقف فيه الماشية لاقار، رشق : دخل
من فوق للتحت، فانت : جازت . ويتابع المؤلف كتابه بالدرس الثاني : الوصول الى
المدينة، ثم الحمال، زنقة في حومة النصارى، عجائب المدينة، جنان البايك، زنقة العرب،
مرورا بالعرب وبني مزاب التركي والعربي، السبيطار، البوشط . هوايش الخلا، حكام
العرب ، الشرع متاع الفرانسييس في تدرّس ، ويختتم صوالح جهوده العامية
الجزائرية و التأليف فيها ⁽²⁹⁾ بكتاب يجمع فيه نصوصا بالعامية عن حياة
الجزائريين عن عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وديانتهم وأعيادهم وأفراحهم وأقراحهم
وبعض الحكايات و الأحاجي المنتشرة هنا وهناك . منها : حكاية (جحا وعزّرين) :

« جحا حفر قبر في المقبرة وساعة ساعة كان يجي يوقف عليه ، قالوا له الناس :
أجحا هذا القبر لاش ؟ قال لهم بغيت نديرها بعززين باش ما يسالوني شي ،
ومايسوطني شي برزمتو قالوا له كيفاش ، قال لهم : نهار الي غوت وبجي يحوس علي
مايصيبني شي ، قالوا له كيفاش مايجيرك شي ، واجبههم :على خاطر كيشوف القبر
قديم يقول : مولاه مات ذاله زمان وسالوته وعذبتة . ذيك الساعة يقيلني وأنا نسلك
منه . قالوا له : بصح هذه حيلة ، الله يزيدك في قلة العقل و الهبال » .

وخلاصة القول : فان ما قيل في هذه المحاضرة هو قليل من كثير تعرضت له اللغة
العربية في عقر دارها من قبل الإستعمار الأروبي وأعوان من أبناء الأمة العربية في
المشرق و المغرب العربيين على السواء ، وما تعرضت له في الجزائر أدهى وأمر من
أبنائها ورحم الله الشاعر طرفة بن العبد في قوله :

وإن يقدفوا بالقذع عرضك اسقهم * بشرب حياض الموت قبل التنجد
فلو كان مولاي أمراً غيره * لفرج كربى أولأنظـرني غدي
ولكن مولاي أمرء هو خانقي * على الشكر و التسأل وأنا مقتد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند (30) .

هوامش البحث :

1 - اللغة العامية هي لغة الحديث اليومي بين العامة من الناس وهي عادة خلط من لهجات ولغات مختلفة ولا تخضع الى قواعد وقوانين تضبطها ، لأنها تلقائية متغيرة تبعا لتغير الناطق بها و الظروف المحيطة بهم ، وهي ظاهرة طبيعية في كل اللغات .

أما اللغة الفصحى فهي اللغة التي تستخدم عادة في الإدارة والتعليم وتدوين الإنتاج الأدبي و الفكري و العلمي ، لأنها تخضع لضوابط وقوانين تضبط وتحكم أصواتها وحروفها وعباراتها ومصطلحاتها ... إلخ .

2 -انظر : عبد الله بوخلخال التعبير الزمني عند النجاة العرب ج 1 ص 7 - ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر- 1987 م.

3 - مجلة الأزهر مجلة علمية أدبية كان يصدرها عالمان كبيران هما إبراهيم مصطفى و الدكتور حسن و فقي ، وبعد أن استمر في إصدارها خمس سنوات حتى نهاية سنة 1892 م ، ومع بداية سنتها السادسة 1893 آل أمرها المهندس الى الأنجليزي وليم ولكوكس و الأستاذ أحمد الأزهر .

4 -انظر : نفوسة زكريا سعيد : تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر، دار المعارف بمصر ط 2 (1980) ص 32 ،

5 - مثل المقتطف التي إهتمت بهذه الدعوة مباشرة بعد صدور كتاب سبيتا «قواعد العربية العامية في مصر» سنة 1880 م والهلال، ومجلة « أبونظارة » بالعامية سنة 1878 ، و الغزالة والأرغول وغيرها .

6 - من هذه الكتب : ماتلحن به العوام للكسائي (ت 189 هـ) وماتلحن فيه العامة للأصمعي (ت 221 هـ) و البهاء فيما تلحن فيه العامة للقراء (ت 207 هـ) وما تلحن فيه العامة لشعلب (ت 291 هـ) ولحن العامة لأبي عبيدة (ت 209 هـ) ولحن العامة للمازني (ت 248 هـ) ولحن العامة لأبي حاتم السجستاني (ت 252 هـ) ولحن الخاصة لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ) ودرة الخواص للحريري (ت 516 هـ)

هـ) وغيرها من الكتب التي ألقت حول العامية أو الألفاظ الدخلية و المعربة ،

7 - تاريخ الدعوة الى العامية وأثارها في مصر ص 9 .

* الكتاب عبارة عن رسالة دكتورا قدمت الي كلية الآداب بجامعة الإسكندرية سنة 1964 وطبعت أول مرة سنة 1966 بالدار القومية للطباعة و النشر بمصر ثم طبعت ثانية سنة 1980 بدار المعارف بالقاهرة.

8 - تاريخ الدعوة الى العامية وأثارها بمصر ص 18 .

9 - المصدر السابق ص 21 .

10 - المصدر السابق ص 22 .

11 - المصدر السابق ص 23 .

12 - أنظر المصدر السابق ص 144 - 145 . وكتاب تيسير الكتابة العربية

نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1946 .

13 - سلامة موسى : البلاغة العصرية و اللغة العربية ، المطبعة العصرية بالفجالة- مصر- ص : 99 - 100 ،

14 - الدكتور أحمد بن نعمان . التعريب بين المد أو التطبيق ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981 م ص 155 .

15 - المصدر السابق و الصفحة نفسها .

16 - المصدر السابق ص 156 نقلا عن ساطع الحصري حوليات الثقافة العربية ص 473 .

17 - مثل المعاهد و المدارس و المساجد و الزوايا و كل ماله صلة بذلك .

18 - التعريب بين المبدأ و التطبيق ص 165 .

19 أنظر حول كل هذا المصدر السابق ص 165 - 168 م

20 - أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية معهد البحوث و الدراسات العربية - القاهرة - سنة 1977 ج 2 ص 192 .

21 - المصدر السابق ج 2 ص 422 .

22 - المصدر السابق ج 2 ص 477 .

- 23 - المصدر السابق ج 2 ص 277 .
 24 - المصدر السابق ج 2 ص 288 .
 25 - المصدر السابق ج 2 ص 289 .
 26 النصوص الأساسية لجهة التحرير الوطن 1954 - 1962 ص 47 .
 27 - المصدر السابق ص 77 .
 28 - كتاب الطريق المستقيمة لتعليم لغة العامة ص 36 .
 29 - يقول المؤلف في مقدمة هذا الكتاب أنه ألف سلسلة من الكتب الموجهة للتلاميذ و المعلمين في جميع مراحل التعليم انظر مقدمة الكتاب باللغة الفرنسية :

"Ce livre termine mon cours gradué d'arbre parlé, je rappelle que la serie entiere comprend : le cours preparatoire, le cours élémentaire, le cours moyen le cours superieur et le cours complementaire".

" Chacun des deux premiers ouvrages se compose du livre de l'eleve et du livre du maître".

30- أبو بكر الانباري شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (ذخائر العرب تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف بمصر (1963) ص 206 .

قسنطينة في 26 افريل 1990

الدكتور

عبد الله بوخلخال .

أستاذ محاضر - بجامعة قسنطينة -